جامعة الجزائر1

كلية العلوم الإسلامية

قسم الشريعة

دور أوقاف النساء في النهضة العلمية في المجتمع المسلم مشرقا و مغربا

إعداد الباحثة الدكتورة: عقيلة حسين

محاور البحث

المقدمة

المبحث الأول: تحديد المفاهيم

المطلب الأول : مفهوم الوقف

المطلب الثاني : مفهوم النهضة العلمية

المطلب الثالث : إسهام المرأة في النهضة

المبحث الثاني : وقف المرأة التأصيل و التدليل

المطلب الأول : أدلة الوقف

المطلب الثاني : مشروعية وقف النساء

المطلب الثالث : أهمية إسهام المرأة في الوقف

المطلب الرابع : حيز الوقف النسوي على العلم

المطلب الخامس : الحيز المكاني والزماني للوقف النسوي على العلم

المبحث الثالث : الانجازات العلمية النسوية عبر وقف

المطلب الأول :المدارس والجامعات والربط ودورها الريادي في النهضة العلمية

المطلب الثاني : المساجد ودورها في النهضة العلمية

المطلب الثالث : الزوايا والربط ودورها النهضوي

المطلب الرابع : وقف المصاحف و الكتب

المطلب الخامس : وقف المال على العلم

الخاتمة

المصادر و المراجع



والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه.

المـــــــــقدمـــة

يعتبر الوقف أحد المؤسسات الخيرية والحضارية والتمويلية في المجتمع المسلم, وقد ساهم في حركة النهضة العلمية والتطور في ميدان العلوم والفنون منذ قرون عديدة في العالم الإسلامي كله.

وكان للمرأة المسلمة منذ الصـــحابيات – رضــي الله عنهن– إلى عصرنا السبق والمبادرة في المساهمة الفعالة في الوقف المتعلق بالتطور العلوم والنهوض بالأمة, ومن الباحثين من يعتبر أن النساء تفوقن على الرجال في هذا المجال.

إشكالية البحث:

ما هو الوقف النسوي؟ من هن أصناف الواقفات ؟ ولماذا كثرت أوقافهن ؟ ما هو التأصيل الشرعي لمشروعية وقف المرأة؟ وما هي مجالاته وأثاره على النهضة العلمية والحضارية؟ وهل انعدم الوقف النسوي في زماننا ؟ وكيف يستعاد؟

الإطار النظري لدراسة

تتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل أهمية الوقف في بناء الحضارة ودفع الحركة العلمية إلى التطور والازدهار.وإسهامات المرأة في النهضة العلمية لأمتها ومشاركة الرجل في بناء حضارة عريقة لم يشهد مثلها التاريخ، وكيف كان الوقف أحد معالم النهوض العلمي. كما يتناول البحث التأصيل الشرعي لمشروعية وقف المرأة , والحيز الزماني والمكاني للوقف النسوي، ثم عرض نماذج تاريخية من مختلف العصور والحواضر الإسلامية: من الحرمين الشريفين والشام وبغداد ومصر والأندلس والمغرب الإسلامي وغيرها... وبيان مجالات الوقف المتعلق بالعلوم وكيفيته وشروط التي وضعتها الواقفات من مختلف المقامات الاجتماعية: ملكات ،أميرات, موسرات, عالمات, بنات العلماء، جواري، عابدات زاهدات, كاتبات ومعلمات. ثم التطرق إلى أصناف الوقف العلمي ومجالاته, فقد تعددت أشكاله: وقف المساجد, المدارس, دور سكن الطلاب, وقف المال على الطلاب والعلماء, كتابة المصاحف ووقفها, وقف الكتب , وقف الجهد وتخصيصه للتعليم المجاني.

لقد تقلص دور الوقف في عصرنا في مجالات العلم، وتقلص معه دور المرأة, وبدأ يتطور عند الغرب و يلقى اهتماما كبيرا من طرف الباحثين والخبراء لما له من أهمية ودور فعال. فهل من سبل لاسترجاعه و كيف يفعل دور المرأة الموسرة وغير الموسرة في دفع حركة الوقف والتنمية العلمية وخاصة وأن الأمية في أوساط النساء كبيرة جدا في العلم الإسلامي, بسبب الفقر والجهل و قلة الوعي, فهذا مجال تنموي ونهضوي كبير بالنسبة للمرأة.

ولمعالجه هذه المباحث اخترت المنهج التحليلي التاريخي.

المبـــحث الأول: تحـــديد المفاهـــيم

يتضمن هذا المبحث تحديد المفاهيم الأساسية للبحث، وأهمها مفهوم الوقف، ومفهوم النهضة العلمية، وإسهام المرأة في ذلك.

المطلب الأول : مفهوم الوقف

الوقف في أصل اللغة يراد به الحبس؛ و هو مصدر مشتق من وقف، أي حبس. نقول: وقف الأرض على المساكين؛ أي حبسها وجعلها في باب البر والإحسان. [(1)] وهو مصدر أريد به اسم مفعول يقال هذا العقار وقف أي موقوف ومن تم جمع على أوقاف.

أما اصطلاحا فعرف الوقف بعدة تعاريف تتنوع و تختلف عند فقهاء المذاهب السنية ومنها

1- (هو حبس العين على حكم ملك الواقف, و التصدق بالمنفعة على وجه البر.) [(2)]

2(الوقف هو جعل منفعة مملوك ولو بأجرة أو غلته لمستحق مدة ما يراه المحبس مندوب.) [(3)]

3-(هو حبس مال، يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود) [(4)]

4- (هو تحبيس العين و تسبيل المنفعة) [(5)]

1- أنظر لسان العرب، ابن منظور- دار إحياء التراث العربي، بيروت، (106/4). الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر، لبنان، ط/1393ه- 1979 م (ص76)

2- وهذا تعريف الإمام أبي حنيفة.أنظر اللباب شرح الكتاب- الشيخ عبد الغني الغنيمي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة محمد صبيح و أولاده بمصر، ط4 / 1381 هـ- 1961 م، (2 / 130).

3-وهذا أحد تعاريف المالكية أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك -الدر دير، مكتبة رحاب ، الجزائر،1987-ص165

4- وهذا أحد تعاريف الشافعية المغني المحتاج-الشيخ محمد الشربيني الخطيب -مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده -مصر -ط1377هـ-1958م ج2ص 378

5- وهذا أحد تعاريف الحنابلة المغني -ابن قدامة- دار الكتاب العربي، بيروت، ط / 1403 هـ ، 1983 م، (6 / 185).

والذي ظهر مما عرض من تعريفلت للوقف في الفقه، أن هناك نقاط التقاء, واختلاف بين الفقهاء في مسألة الوقف, و التي يمكن حصرها إجمالا فيما يلي: أن الفقهاء يتفقون– ماعدا الحنفية– على أن الوقف باب من أبواب التكافل في الإسلام، وأنه يخرج الشيء الموقوف من تصرف الواقف. كما أنهم يختلفون في مدى صحة تأقيت الوقف، وفي مسألة لزومه بعد عقده أي إمكانية رجوع الواقف عن وقفه، ومسألة خروج الوقف من ملك الواقف. وأنه مال البر والإحسان يتوجه به إلى الأهل أو إلى أفراد الأمة .

المطلب الثاني : مفهوم النهضة العلمية

يتقاطع مفهوم النهضة عند المسلمين بمفاهيم أخرى منها: الصحوة، واليقظة، والحضارة.
وأما معناها المعجمي:(ن هــ ض) : نَهَضَ عَنْ مَكَانِهِ يَنْهَضُ نُهُوضًا ارْتَفَعَ عَنْهُ وَنَهَضَ إلَى الْعَدُوِّ أَسْرَعَ إلَيْهِ وَنَهَضْتُ إلَى فُلَانٍ وَلَهُ نَهْضًا وَنُهُوضًا تَحَرَّكْتُ إلَيْهِ بِالْقِيَامِ وَانْتَهَضْتُ أَيْضًا وَكَانَ مِنْهُ نَهْضَةٌ إلَى كَذَا أَيْ حَرَكَةٌ وَالْجَمْعُ نَهَضَاتٌ . [6]

ولقد كنت للمسلمين نهضة قوية في تاريخهم الطويل منذ نزول الوحي، وبعثة سيد الخلق ﷺ وشملت جميع نواحي الحياة ، وعمت أرجاء المعــمورة ، واعترف لها العدو قبل الصديق . والســبب في ذلك كله هو هذه الأفكار الصحيــحة والنوايا الحسنة التي تلقاها المسلمون من نبيهم الكريمﷺعبر الوحيين القرآن والسنة. ويقول مالك بن نبي– رحمه الله– في هذا الصدد "...فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شرعة ومنهاجا،أو هي على– الأقل– تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام، فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية، بعيدا عن حقبته، إذ حينما يكتشف حقيقة حياته الكاملة، يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته وتتفاعل معها ." [7]

فالنهضة لا تكون إلا بفكرة والفكرة الدينية هي أصح الأفكار، وخاصة إذا نبعت من الإسلام الذي حفظ وعصم من كل تحريف و انتحال.

"النهضة هي الارتقاء والارتفاع ولا يكون هذا الارتفاع إلا بفكر، وصحة النهضة أو بطلانها تكون حسب الفكر الذي يُحمل للنهوض. فإن كان هذا الفكر وضـعياً تكون النهضة نهـضة

6- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - (ج 10 / ص 10)

7- شروط النهضة –مالك بن نبي ص 51

آنية لفترة محدودة لابد أن يأتي عليها زمن يظــهر فيه عوارها، وتفشل فتسقط بأصحابها إلى الدرك الأسفل. أما النهضة الصحيحة فهي النهــضة التي تكون من الخالق حين يحل للإنسان العقدة الكبرى؛فيجيب عن التساؤلات التي تثار لديه عن الخالق،وعلاقته بهذا الخالق، وعلاقته بالكون والإنسان والحياة، وعلاقته بما بعد الكون والإنسان والحياة. وبما أن الله خلق الإنسان ذكراً وأنثى، وأوجد لهذا الإنسان نظاماً يعيش بحسبه؛ فقد فرض على كل واحد منهما واجباتٍ كان لا بد من تنفيذها لتحقيق هذه النهضة." [8]

ولما كانت النهضة والحضارة تحتاج إلى شـــريحة البدء وشـــريحة التغيير وشـــريحة البناء، وعلى ضوءها تتضح مؤشرات نجاح التي تبشر بإمكانية تحقيقها في الواقع. فإن مالك بن نبي يؤكد هذه الأسس التي تربط الحضارة والنهضة بالدين وأحسن من جسد هذا هم العرب قبل الإسلام و بعده:" ومن المعوم أن جزيرة العرب مثلا لم يكن بها قبل نزول القرآن إلا شعب بدوي يعيش في صحراء مجدبة، يذهب وقته هباء لا ينتفع به لذلك فقد كانت العوامل الثلاثة: الإنسان و التراب والوقت راكدة خامدة، وبعبارة أصح مكدسة لا تؤدي دورا ما في التاريخ حتى إذا ما تجلت الروح بغار حراء ... نشأت من بين هذه العناصر الثلاثة المكدسة حضارة جديدة، فكأنما ولدتها كلمة : "أقرأ" التي أدهشت النبي الأمي ﷺ وأثارت معه وعليه العالم فمن تلك اللحظة، وثبت القبائل العــربية على مسرح التاريخ حيث ظلت قرونا طوالا تحمل للعالم الحضارة الجديدة ، وتقوده إلى التمدن والرقي ." [9]

المطلب الثالث : إسهام المرأة في النهضة

قد يكون من الحشو والبعد عن المنهج العلمي: الحديث عن أمر معروف هو إشراك المرأة عند المسلمين في بناء نهضة وحضارة أمتها. الشواهد التاريخية كثيرة جدا، والآثار العلمية والمادية شاهدة على ذلك. ودور المرأة لم يكن خافيا أو مستترا على أحد، فهي التي ساهمت بأمومتها في بناء النهضة العلمية، وحسن تربية العلماء وإعدادهم، وهي التي تعلمت وعلمت وحفظــت وقرأت القرآن، وروت الحديث وعلمته، وتفــقهت وأفتت وعبرت عن قضاياها وقضايا أمتها بشعر والنثر، وكانت الطبيبة والفلكية والرياضية...

8- جمود العقل المسلم وتحديات العصر في كتاب صدر مؤخرا كتاب جديد تأليف أسامة عكنان بعنوان " تجديد فهم الإسلام" عن دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع في 448 صفحة.

9- شروط النهضة –مالك بن نبي ص 51

وقد أحصت كتب الطبقــات والتراجم والأنســاب عددا كبيرا من هؤلاء النسوة المساهمات في المشــاريع الإنسانية؛ منهن الحافظات والمــقرئات، المتصوفات والقانتات، والمحدثات والمفسرات، والناســخات، والوراقات، والفقيــهات، والمشاركات، والعــالمات، والطبيبات، والأديــبات والشاعرات، والرحالات والمتنــقلات، والسياسيات، والدبلومــاسيات والقائدات والزعيمات... وهي التي بذلت مالها ليسير ركب الحضارة ويتواصل.وتقول فيها المستشرقة الألمانية سغــريد هونكه :(ظلت المرأة في الإسلام تحتل مكانة أعلى وأرفع مما احتلته في الجاهلية وسار الركب, وشاهد الناس سيــدات يدرسن القانون والشرع, ويلقن المحاضرات في المساجد، ويفســرن أحكام الدين, فكانت السيدة تنهي دراستها على يد كبار العلماء, ثم تنال منهم تصريحا لتدرس هي بنفسها ما تعلمته فتــصبح أستاذة و شيــخة، كما لمعت من بينهن أديبات وشاعرات والناس لا تبدي في ذلك غضاضة أو خروجا عن لتقاليد.) (10)

ولكن يصبح الأمر ملحا طرح هذه الإشكالية في زماننا، أين تتفاقم نسب الأمية والجهل عند النساء في بلاد المسلمين، وأين يقل الوعي ويتقلص الدور المنوط بها، لتترك العنان لنفسها للانبهار بالمرأة الغربية ونشاطها العلمي ودورها في خدمة المجتمع ومعرفتها بحقوقها،ومنه فإما أن تقلدها، وإما أن تستسلم للركود والخمول، وهذه السمة الغالبة ولا أعمم.

وفد أسهمت المرأة المسلمة عبر العصور في نهضة أمتها انطلاقا من :

1 - العقيدة السليمة والفكرة الصحيحة والنية الخالصة
2 - طلب العلم والجلوس إليه
3 - الوعي بالتكليف والاستخلاف والرسالة
4 - فهم الخطاب القرآني والنبوي
5 - السعي للأجر العظيم والامتثال والطاعة
6 - استشعار المساواة بينها و بين الرجل في التكاليف و العمل

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾] التوبة 71

10- شمس العرب تشرق على الغرب -كتاب شهير لسغريد هونكه -تبين فيه فضل الحضارة العربية على الحضارة الغربية وهذا الكتاب ترجم إلى كل اللغات وبيع بنسخ كثيرة و ترجم كذلك إلى اللغة العربية ص46

وقد خصص المقــري حصة مهمة من كتــابه " النفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" لتراجم نساء الأندلس من اللائى كان لهم اليد الطولى في الصياغة والبلاغة، وعلل المقري اهتمامه الخاص بهذا الموضوع؛ بأن باعثه على ذلك، كي يعلم الناس أن الحضارة أصيلة في أهل الأندلس وحتى في نسائهم وصبيانهم...!

وكذالك كان غرض كل خصص كتبه لتراجم النساء الفضليات وسيرهن العطرة في الحفظ القرآن ورواية الحديث والفتوى والأمومة والوقف، وجميع دروب الخير التي زاحمن فيها الرجال من مبدأ التعاون والتكافل والمشاركة وتقاسم المهام والأدوار؛ لبناء الحضارة وتعمير الأرض والجزاء الحسن في الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني : وقف المرأة التأصيل و التدليل

وقف مشروع بالكتاب والسنة وفعل الصحابة والسلف الصالح نساء ورجالا، وقد اعتنى به الفقهاء في تقرير أحكام الشريعة ورفعوه إلى مرتبة الندب و الاستحباب .ووقف المرأة مشروع كوقف الرجل، لأن الخطاب جاء لهما معا. ويكتسي وقفها أهمية بالغة في عصرنا كما كان مهما في العصور السابقة .

المــطلــب الأول : أدلـــة الوقــف

من القرآن: عموم الآيات التي تحث على كل أنواع الإنفاق والبر والصدقات، وبذل الخيرات في سبيل الله :

1–قال الله ﷻ :﴿يا أَيُّهَا الذِيْنَ أَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَ مِمَآ أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأرض﴾(11)

2–قولهﷻ ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾(12)

3–قوله ﷻ ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ (13)

4–قوله ﷻ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾(14)

5– قوله ﷻ ﴿ وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾(15)

11–سورة البقرة: 266.

12– سورة البقرة:147 .

13– سورة آل عمران:92

14– سورة الحج:77

15– سورة البقرة: 280.

6- قوله ﷻ﴿ وما تفعلوا من خير فلن تكفروه﴾ [16]

تحث هذه النصوص على المبادرة إلى الخير والإنفاق في سبيل الله من الطيبات والخيرات ابتغاء وجه الله ﷻ وأوجه الإنفاق متعددة منها الزكاة, والصدقات, والأوقاف, والحبوس والوقف وجه من أوجه الخير, والإنفاق في سبيل الله.

ومن السنة: قول رسول الله ﷺ قال:﴿إِذَا مَاتَ ابِنُ آدَمَ، انِقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدعُو لهَ ُ﴾ [17]

ولقد فسرت الصدقة الجارية بالوقف لاستمرار منفعتها للناس وثوابها.

عمل الصحابة : كان الصـــحابة الكرام أكثر المؤمنين امتثالا لــطاعة الله ورسولهﷺ وقد طبقوا الشريعة أحسن تطبــيق, وسارعوا, وتنافــسوا في أعــمال الخير والبر, ومن هذه الأعمال الصدقات, والعــطايا, والأوقاف. نقل ابن الجلاب – رحمه الله–[18] أن الصحابة ﷺ عملوا بالوقف؛ كـعمر, عثمان, والزبير, وطلحة, وعلي ابن أبي طـــالب, وعمرو بن العاصﷺ وغيرهم...) [19]

الإجماع : قال ابن رشد الجد[20] الأحباس، سنّة قائمة، عمل بها رسول اللهﷺ والمسلمون بعده.[21]فالوقف من أعمال البر الذي أجمع المسلمون على مشروعيته,واستحباب العمل به.

16- سورة آل عمران:115

17- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1- 1992 كتاب الوصايا، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (رقم 1631).و أبو داود، السنن، مراجعة محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت، (رقم 2880).والترمذي، الجامع دار الكتاب العربي، لبنان، كتاب الأحكام، باب الوقف، (رقم 1376).والنسائي، السنن، صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاوش، مكتب التربية لدول الخليج، الرياض، ط1408/01هـــ – 1988م، كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة على الميت، (رقم3412).

18- هو الإمام الفقيه المجتهد أبو القاسم عبيد الله بن الحسن بن الجلاب العراقي، من مؤلفاته: التفريع، مسائل الخلاف، توفي سنة 378هـــ. أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية، محمد بن محمد مخلوف، (ص 92).

19- أنظر التفريع –ابن الجلاب، دراسة و تحقيق د/ حسين بن سالم الدهماني، دار الغرب، بيروت، ط1 / 1408هـــ 1987م، (310/2).

20- هو الإمام الفقيه الأصولي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، من أعلام المجتهدين في زمانه، هو الإمام الفقيه الأصولي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي،من أعلام المجتهدين في زمانه، من مؤلفاته:البيان والتحصيل و المقدمات، توفي سنة 520هـــ(أنظر، ترجمته في، شجرة النور الزكية – مخلوف، (ص 129).

21-المقدمات الممهدات، ابن رشد الجد، تحقيق أسعد أحمد أعراب، بعناية الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، دار=

القياس : يتفق الفقهاء على أن الوقف مشروع بالقياس أيضا يقول الإمام الشربيني (رحمه الله): اتفق العلماء على أن بناء المساجد، وإخراج أرضها من ملكية واقفها، أصلها في وقف الأصل وحبس الأصول و التصدق بثمرتها، فيقاس عليه غيره..." [22]

المــطلب الثاني : مشـــروعية وقــف النـــساء

قول الله ﷻ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [23]

يقول الإمام الطبري-رحمه الله- في تفسير هذه الآية (يقول اللَّه لَهم: إنَما يدخل الجنَة ويَنعَم فِيهَا فِي الآخرة, من يعمل من الصَالحات من ذكوركم وإناَثكم, وذكور عبادي وإناثهم وهو مؤمن بي وبرسولي محمَد, مصدق بوحدانيَتي,ونبوَة محمَدﷺ وبما جاء به من عندي,لا أنتم أيها الْمشركون بي المكذبون رسولي...) [24]

وقال الله﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأُكَفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِئَاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ الله وَ الله عِنْدَهُ حُسْنَ الثَّوَابِ ﴾ [25]

كما ذكر أن لهذه الآية سبب نزول أَنَّ أُمّ سَلَمَة قَالَتْ: يَا رَسُول اللَّه,أَلَا أَسْمَع اللَّه ذِكْرَ النِّسَاء فِي الْهِجْرَة بِشَيْءٍ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّه ﷻ : " فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبّهمْ أَنِّي لَا أُضِيع عَمَل عَامِل مِنْكُمْ مِنْ: ذَكَر أَو أُنْثَى " الْآيَة.) [26]

وهناك نصوص كثيرة من السنة ومن عمل أمهات المؤمنين ونساء السلف الصالح.

أن حبست فاطمة بنت رسول الله ﷺ, وسائر الصحابة جــملة صدقاتهم بالمدينة أشهر من الشمس لا يجهلها أحد) [27]

= الغرب الإسلامي، لبنان، و دار إحياء التراث الإسلامي، دولة قطر، ط1/ 1408هـــ 1985 م، (2 /407).

22-مغني المحتاج- الشيخ الشربيني، (2 / 376- 380).

23-سورة النساء/ **124**

24-جامع البيان عن تأويل آي القرآن - الطبري -دار الفكر -بيروت -1408هـــ-1984م ج5/296-297

25-سورة آل عمران /195

26-الجامع لأحكام القرآن -الإمام القرطبي-دار الكتاب العربي -بيروت -مج2/ج5/318

27-أخرجه البخاري -كتاب الزكاة -فضل صدقة الشحيح الصحيح- رقم 1333-ومسلم في كتاب فضائل الصحابة -فضائل زينب أم المؤمنين-رقم 4490

وحبست عائشة وأختها أسماء وأم سلمة وأم حبيبة وصفية أزواج النبيﷺ . [28]
كما ثبتت مشروعية وقف النساء بالاجتهاد ومقاصد الشريعة وسد الذرائع ومراعاة الأعراف كلها أدلة على ثبوت وصحة وقف المرأة في الشريعة. [29]

المــطلب الثـــالث : أهمــية إســهام المـــرأة في الوقــف

لا يجادل اثنان في كون المرأة إنسان مكرم في جمـــيع الأديان, والرسالة الخـــاتمة جعلت المرأة في مرتبة عالية من الكرامة الإنسانية, وسوت بينها وبين الرجل في التكليف بالعقائد والشرائع وفي الجزاء والثواب,وإن كانت لها خصوصيتها التي تختلف عن الرجل,والهدف من هذا الاختـــلاف إقامة الحياة, والتعاون والتكامل وإحداث توازن داخل الأســـرة, وفي المجتمع. وتكمن أهمية الوقف النسوي في جوانب كثيرة جدا منها أوامر القرآن والسنة التي لا تفرق بين النساء والرجال في البدل والعطاء والصدقات، وفي المشاركة في الحضارة.
عن جابر قال شهدت الصلاة مع رسول اللهﷺ في يوم عيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم قام متوكئا على بلال حتى أتى النساء, فوعظهن, وذكرهن, وأمرهن بتقوى الله. قال: تصدقن فذكر شيئا من أمر جهنم, فقامت امرأة من سفلة النساء, سفعاء الخدين, فقالت: لم يا رسول الله قال:لأنكن تفشين الشكاء, واللعن, وتكفرن العشير, فجعلن يأخذن من حليهن, وأقراطهن وخواتيمهن يطرحنه في ثوب بلال يتصدقن به. أخبرنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبيﷺ نحو هذا) [30]
وهناك مجالات لا تتقنها إلا المرأة كالقضايا الأسرية ورعاية اليتامى والنساء الأرامل ... المرأة لها دور فعال جسدته نساء الـــسلف الصالح اللواتي فهمن الرســـالة ووعين الواجب، وتسابقن إلى الخيرات؛ رجاء الثواب أولا وبناء وتعمير الأرض ثانيا. فهي إذن ليست نصف المجتمع المعطل كما أراد لها البعض عبر الفتاوى والخطابات التي تكبل حركتها وتحد من

28-الإسعاف في أحكام الأوقاف –إبراهيم بن موسى الطرابلسي الحنفي –دار الرائد العربي –بيروت –1401هـــ–1981م ص 13

29-وقد فصلتها في بحثي"البعد الحضاري والاجتماعي لإسهام المرأة في الوقف: المنشور بمجلة المؤتمر الثالث للأوقاف: الأوقاف اقتصاد و حضارة –1431هـــ –2010م بالجامعة الإسلامية –المدينة المنورة .

30-أخرجه البخاري –كتاب العيدين –باب عظة الإمام النساء و تعليمهن–ج1ص291 رقم 975 –وأخرجه بلفظ أخر في كتاب العيدين باب خروج النساء و لصبيان إلى المصلى ج 1ص 291رقم 926 و في كتاب الجمعة باب خروج الصبيان إلى الجمعة ج1 ص289 رقم 922

نشاطها وعملها في إطار الشريعة ومقاصدها .

المــطلب الرابــع : حــيز الوقــف النســوي على الــعلوم

بأخذ حيز الوقف العلمي عند المسلمين النصيب الأكبر في مختلف العصور والحواضر. وفد استنتجت ذلك من خلال مطالعاتي الكثيرة في كتب الفقه والنوازل والتاريخ والتراجم. والأدلة والشواهد لا تخف على أي باحث.

كان الوقف بمختلف أنواعه ينصرف إلى العلوم بعد دور العبادة ؛ فكان يشــمل المساجد ثم المدارس ودور العلم وبعدها يأتي المجال الاجتمــاعي والاقتــصادي والصــحي والأسباب معروفة؛ فالعلم عند المسلمين يكتسي أهمية كبيرة بعد التوحيد، وهو سبب التكليف والنهضة والحضارة وبه كانوا روادا و سادة .

ولم تشذ عن هذه القاعدة النساء رغم اهتمامهن بالمجالات الاجتماعية، إذ يقول ابن جبير في رحلته:" ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة، وتنفق فيها الأموال الواسعة وتعين لها من مالها الأوقاف." [(31)]

ويتحدث ابن خلدون عن القاهرة كحاضرة للعلم في زمــانه بعد بغداد وقرطــبة والقيروان والبصرة والكوفة ودمشق، وعلامات ذلك كثرة الأوقاف العلمية :"...فاســتكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة ... فكثرت الأوقاف لذلك وعالمت الغلات والفوائد، وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتـــــهم منها، وارتحــل إليــها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها... وفي سائر الصنائع الضرورية والكمــالية، لكثرة عمرانه والحــضارة، ووجــود الإعانة لطالب العلم بالجراية من الأوقاف التي اتسعت بها أرزاقهم." [(32)]

ويتحدث ابن جبير قبل ابن خلدون عن كثرة الأوقاف المخصصة للعلم في بغداد قائلا : "وأما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير فضلا عن الإحصاء. والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية وهي التي ابــتناها نظام الملك، وجــددت سنة أربع وخمــس مئة. ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محــبسة تتصير الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على

31-رحلة ابن جبير - (1 / 104)

32-مقدمة ابن خلدون - (1 / 249)

الطلبة ما يقــوم بهم، ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستـــانات شرف عظيم وفخر مخلد، فرحم الله واضعها الأول ورحم من تبع ذلك السنن الصالح." (33)

وكذلك الأمر غي العصر العثماني حيث كان الوقف على العلم يأخذ حيزا كبير، وقد أشار المؤرخ التركي المعاصر" يلماز اوزتونا" إلى "أن جميع منجزات المؤسسات الاجتماعية قد شيدت بفضل مؤسسة الوقف،وبمشاركة السلاطين والولاة وبقية المواطنين،وتنوعت الأوقاف في مجالات تفوق التصور منها : تجهيز الفتيات الفقيرات، وتامين حاجة البارود ، ورصف الأزقة، وسداد ديون السجناء والمعسرين،وعلي رأس المؤسسات الخيرية، الجوامع والمساجد سبيل الماء والمدارس ومؤسسات إطعام الفقراء والمستشفيات والخانات والحمامات ، ودور العجزة والمصانع وغيرها" (34)

المــطلب الخامـــس : الحيز المكاني والزمـــاني للوقـــف النســـوي على العلم

يتضمن هذا المطلب تحديد الحيز الزماني والمكاني لوقف النساء، أين ومتى كثرت أوقافهن وأين ومتى قلت، والحقيقة أن هذا الأمر يحتاج إلى دراسة معمقة، وعودة إلى السجلات والأرشيف .

إلا أن كتب التاريخ والطبقات والتراجم توحي بأن هناك أزمنة وأمكـــنة نشطت فيها النساء في مجال الوقف بكافة أنواعه–الوقف الخيري والوقف الذري والوقف الأهلي–، والذي كان بارزا هو الوقف الخيري، وتحديدا في مجـــال العلم الذي كان يأخذ حيزا كبيــــرا، ابتداء من عصر النبوة ومرورا بكل المراحل؛ الخلافة الأموية ثم العباسية والفاطميين والمماليك.

ومختلف الحقبات السياسية بالغرب الإســـلامي والأندلس، وأن قلت التراجم وشحت في هذا المجال. وكذلك عصر العثمانيين.

ومن هذه الحواضر التي كثرت فيها أوقاف النساء : الشام في عصر الأيوبـــيين والمماليك، ومصر وبغداد في عصور قريبة من ذلك وفي العصر العثماني كثرت الأوقاف النسوية.

وقد تكون الدوافع متعددة ومختلفة إلا أنني أحصرها في :

1 – الوعي الديني والإحساس بقضايا الأمة.

33-رحلة ابن جبير – (1 / 85)

34-تاريخ الدولة العثمانية: يلماز اوزتونا، ترجمة عدنان محمود سلمان ، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول1990 م ج 2 ، ص 491.

2 – صد الحملات الصليبية والتتار .

3 – تعويض ما ضاع من العلم وكتبه ومكتباته في هذه الهجمات .

4 – تشجيع السلاطين لهذه المشاريع العلمية والنهضوية.

وفي المبحث الموالي يتضـــح ذلك من خلال عرض الانجـــازات الوقفية للنساء في مجالات علمية تصب في دفع عجلة النهضة والتقدم وتعمير الأرض بالخير والفضيلة.

وأما الأماكن والأزمنة التي قلت فيها أوقاف النساء فهي فترات الاستـــعمار وعصر النهضة الحديثة، أين غيب الوقف ولم يعد له دور إلا قليلا . والأسباب معروفة أهمها.

1 – مصادرة الاستعمار لجميع الأملاك الوقفية.

2 – تدهور مكانة المرأة في المجتمع وانتشار الأمية والأعراف الجائرة .

3– انبهار المرأة المسلمة بانجازات المرأة الغربية وتقليدها في ذلك ، فأصبح العمل الخيري النسوي ينصب في الشؤون الاجتماعية أكثر من قضايا العلوم التي تدفع إلى النهضة.

المبـــحث الثالـــث: الانـــجازات العلمية النســـوية عبـــر الوقـــف

كثيرة هي انجازات النساء في مجال الوقف العلمي بمختلف وظائفه فهن مساهمات بشكل كبير من مختلف الأعمار والطبقات وفي مختلف المجالات والبلدان والحواضر الإسلامية، ومن مختلف المذاهب والطوائف.

وتعتبر المدارس والمساجد والجوامع والربط والزوايا أكثر المعالم الحضارية، وأعظم مؤشر للنهضة والتقدم فيها هو كثرة هذه المعالم وتنوعها. ومعظم الرحالة والمؤرخون الذين وصفوا التقدم والنهضة ربطوها بكثرة هذه المعالم.[35]

المطلـــب الأول : المســـاجد ودورها في النهـــضة العلـــمية

هي مساجد كثيرة كان لها الدور الريادي في النهضة العلمية في تاريخ المسلمين ابتداء من مسجد قباء إلى الحرمين الشريفين إلى مساجد الدنيا كلها؛التي كانت الدعامات الأساسية لحفظ الدين والهوية والنهوض بالمجتمعات المسلمة علميا وحضاريا، ولا غرابة أن تنطلق مصدقية العالم وشهرته ومكانته من المسجد، فالمساجد هي الوجه الأول للنهضة عند المسلمين وهي أول ما يبنى في أول حاضرة إسلامية،وهو مؤسسة دينية علمية ثقافية حضارية ولهذا كان

35-أنظر رحلة ابن بطوطة 32/1–رحلة ابن جبير 89/1–مقدمة ابن خلدون 123/1–

المسلمون رجالا ونساء في كل الحواضر الإسلامية ، مشرقا ومغربا، سباقون إلى تأسيس المساجد والعناية بها لتشع منها النهضة والحضارة.وكانت في كل العصور المزدهرة بالعلم والنهضة والتقدم، هذه الأماكن التي تكلأ القلوب نورا والنفوس أمنا والرؤوس علما، لذلك تنافس في بناءها وتعميرها المتنافسون من المؤمنين و المؤمنات .

جامع القرويين في فاس

يعتبرهذا الجامع الذي أصبح فيما بعد جامعا وجامعة من أقدم أوقاف نساء الغرب الإسلامي، وتأكد المصادر التاريخية أن منشأة هذا الجامع هي فاطمة بنت محمد عبد الله الفهري [36]؛ الذي توفي وترك لابنتيه مريم وفاطمة ثروة هائلة أنفقتاها في وجوه الخير والبر والإحسان. حيث قدمتا من القيروان واستقرتا بفاس،فنسب القرويين لفاطمة ونسب جامع الأندلس لمريم. بنت فاطمة جامع القرويين[37] وكان الشروع في بنائه سنة 245هــ، ولم تزل قائمة عليه إلى أن أكملته، وصلت فيه شكرا لله ﷻ .وقد لعب هذا الجامع الذي أصبح جامعا وجامعة دورا كبيرا في الحياة العلمية في بلاد المغرب في حفظ الحياة العلمية والدينية، ولقنت فيه جميع العلوم. وتوافدت عليه الوفود من جميع العالم لطلب العلم.مما اضطرها إلى جعل جامع أختها مريم ملحقة من ملحقات الجامعة.فهو الجامعة الأولى في العالم. وتأسست أول جامعة في العالم سنة 1050م. قال "دلفان" في كتابه حول فاس وجامعتها :(إن فاس هي دار العلم وأن القرويين هي أول مدرسة في الدنيا.)

وقال المؤرخ المغربي الكبير عبد الهادي التازي:"وكان هذا الجامع يتوفرعلى 140 كرسيا علميا، منها كرسيان اثنان خصصا للنساء يوجدان في أماكن خاصة تساعد من حيث موقعهما على تمكين المرأة من الاستماع مباشرة إلى كبار المشايخ مثل ما يسمعه الرجال، وهكذا كان في استطاعة المرأة أن تتابع ما يعطى من أعلى هذين الكرسيين لمختلف الحاضرين من الطلبة وغيرهم،والملاحظ أن الكرسيين المذكورين ظلا معا إلى اليوم يؤديان واجبهما العلمي

36-أنظر ترجمتها في أعلام النساء–كحالة 107/4–الأعلام للزركلي 132/5 – الأنيس المطرب بروض القرطاس، طبعة الرباط 1: 76 ونخب تاريخية 22 والاستقصا طبعة الدار البيضاء 1: 175 وراجع على الخصوص ما كتبه عبد الهادي التازي في مجلة التربية الوطنية – بالرباط – العدد الرابع: يناير 1960. جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي"، ندوة تكريمية لعبد الوهاب التازي سعود، سلسلة أبحاث وأعلام رقم 5، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996.

37-أنظر كتب زهرة الآس في بناء مدينة فاس –أبو الحسن على الجزنائي ص213

والتثقيفي وكان هناك العديد من مدارس البنات التي كانت تعرف باسم"دور الفقيهات"وكل حي من أحياء المدينة،بل وكل درب ومنعرج كان ينعم ببعض هذه الدور التي كانت من إنشاء سيدات محسنات أخذن على عاتقهن أن ينصبن أنفسهن لتعميم المعرفة ونشر الفضيلة" [(38)]
وقد حافظ جامع وجامعة القرويين على المرجعية الفكرية والفقهية للمغرب الأقصى خاصة للمغرب العربي عامة، فقد اعتمد تدريس الفقه على المذهب المالكي منذ نشأته ومازال إلى يومنا هذا يقوم بذات الدور ليس في مجال الفقه فقط بل في جميع العلوم الشرعية . ولم تمر شهرة عالم من المغرب أو تونس أو ليبيا أو الجزائر إلا على هذا الجامع.

جامع الأندلس بفاس

أنشأته مريم بنت محمد الفهري[(39)] والتي كانت لهما ثروة كبيرة وأختها قاطمة، فكان لهما أن بنتا القرويين والأندلس المسجد الجامع الذي ما زال إلى الآن. وقد كان له دور تاريخي كبير في نشر الدين والعلم والحفاظ على الهوية الإسلامية وتقدم النهضة.

جامع السيدة

وهو مسجد بالجزائر العاصمة بنته سيدة محسنة و كان أعظم جامع في الجزائر، في العهد العثماني، وقد ذكره "أد/ أبو القاسم سعد الله" في كتابه" تاريخ الجزائر الثقافي" إلا أنه لم يذكر شيئا عن هذه السيدة ،من هي وكيف بنت المسجد، واقتصر على بعض الأوصاف المسجد قائلا:(جامع السيدة كان من بين السبعة الرئيسية منذ القرن 16م -10هـ-.أقدم الوثائق التي تتحدث عنه ترجع إلى سنة 1564م ، تحدث عنه هايدو الاسباني سنة 1581م وعده الثالث في الأهمية من بين المساجد السبعة بالعاصمة .اتخذه الباشوات مصلى لهم لقربه من قصر السلطان والحكم،واعتبره ديفوكس من جوامع الدرجة الأولى، لجماله وفخامته.وكان ديفوكس حاضرا لهدمه سنة1830م -سنة احتلال فرنسا للجزائر-... وقد هدمه الفرنسيون خوفا من أن يتخذه المسلمون مركزا لهم ونقطة تجمع و مظاهرات ،وذلك يدل على أهمية جامع السيدة من الناحية المعنوية.) [(40)]
وقد فصل في كيفية تهديم الاستعمار له وكيف برر المعمرون من الطبقة المثقفة من أن الهدم

38-كتاب التازي المرأة في الغرب الإسلامي

39-أنظر الأنيس المطرب بروض القرطاس، طبعة الرباط 1: 76 ونخب تاريخية 22 والاستقصا طبعة الدار البيضاء 1: 175 وراجع ما كتبه عبد الهادي التازي في مجلة التربية الوطنية - بالرباط - العدد الرابع: يناير 1960.

لم يكن بدافع عاطفة معادية للإسلام وإنما كان لضرورة فتح الطرق العمومية . والحقيقة لو لم تكن هذه المساجد و الزوايا والربط تؤدي دورا حضاريا وتسهم في النهضة وحفظ الهوية لما تعرضت لكل هذا العدوان،وفرنسا تعرف جيدا هذه المعاني وقيمة المعالم الحضارية والدينية والثقافية صناعة الوعي والنهضة لذلك هاجمتها. وتشاء الأقدار أن تكون هذه المعالم الحضارية الإسلامية الوقفية هي السبب المباشر في خروج فرنسا و نهاية الاستدمار.

مسجد ورباط و زاوية لالة فاطمة نوسمر

ذكره أد/أو القاسم سعد الله في موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي[(41)]، أسسته امرأة مناضلة مجاهدة عابدة زاهدة وكان بالمسجد رباط و زاوية لتحفيظ القرآن الكريم خلال القرن 18م وعندما دخل الاستعمار الفرنسي هدم معظم المساجد والربط والزوايا، وحول هذا المسجد إلى سكنى عسكرية .

لم يذكر عنه المؤرخون تفاصيل كثيرة سوى انه تعرض للهدم كل من المسجد والرباط والزاوية للهدم والاستيلاء.

جامع القرافة

هو أحد منشآت السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز وأم العزيز بالله. [(42)]ولما كان بناء جامع القرافة عام (366هـ/ 976م) فهو يعد ثاني جامع أقامه الفاطميون في مصر بعد الجامع الأزهر، وكان هذا الجامع كسائر الجوامع الكبيرة في مصر والقاهرة تقام فيه صلاة الجمعة وقد تعرض للحريق عند خراب الفسطاط عام 564هـ/ 1168م.ثم اتخذت إلى جانبه قصراً لها، ويقول المؤرخون إن تغريد أنفقت أموالا طائلة في بناء هذا السجد.

مسجد ست غزال

التي بنت مسجداً حمل اسمها عام 536هـ/ 1141م، ويذكر عنها أنه كان لها منصب كتابي في قصر الخليفة ولا تعرف شيئاً إلا أحكام الدوى والليق ومسح الأقلام والدواة، وكان برسم

40-تاريخ الجزائر الثقافي 1830م-1954م--أد/أبو القاسم سعد الله –دار الغرب الإسلامي –بيروت –ط1-1980م 5 /13-14 وقد ذكر الدكتور سعد الله جوامع وقفية تنسب لسيدات وقد هدمت دون تفاصيل عنها منها جامع صفية ،وجامع أم عالمة حليمة ...ج91/5

41-تاريخ الجزائر الثقافي 1830م-1954م--أد/أبو القاسم سعد الله – 5 /91-البنايات الدينية في الجزائر –ديفوكس ص152 وهو الذي ذكر أن مسجد السيدة كان يقع في ساحة الحكومة أنذاك وهي ساحة الشهداء حاليا بالعاصمة .

42- كتاب أو مقال المساجد في الدولة الفاطمية نماذج من القاهرة –صلاح ناجي المنصورة/ القاهرة

خدمتها مأمون الدولة الطويل.

مسجد الخفافين في بغداد

من إنشاء السيدة زمرد خاتون،[43]، زوجة الخليفة العباسي المستضيء في بغداد، الذي تعتبر منارته أقدم منارة معروفة في بغداد، قال عنها ابن كثير في البداية والنهاية:" الست الجليلة زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله زوجة المستضئ، كانت صالحة عابدة كثيرة البر والإحسان والصلات والأوقاف..."

المسجد الكبير في جنين

من إنشاء السيدة فاطمة خاتون حفيدة السلطان قانصوه الغوري.

المطـــلب الثاني : المدارس والجامعـــات ودورها الريادي في النهـــضة العلمية

هذه بعض الأمثلة عن دور النساء وإسهامهن في مجال الوقف، وأبرز هذه الانجازات هي المدارس بمختلف تخصصاتها ومستوياتها والربط ودور العلم وملحقاتها كدور الطلبة وأجور العاملين في المدرسة وغيرها :

1- زمرد خاتون صفوة الملوك بنت الأمير جاولي الدمشقية, [44] أخت الملك الدقاق لأمه وزوجة تاج الملوك يوري(ت: سنة557هـــ- 1162م) روت الحديث واستنسخت الكتب وحفظت القرآن, وبنت المدرسة الخاتونية البرانية بدمشق وبنت المسجد الكبير الذي في صنعاء ووقفت مدرسة للحنفية وهي من كبار مدارسهم وأجودها معلوماً...) [45]

2-أم الخليفة الناصر لدين الله، وهي زمرد خاتون، بنت مدرسة أم الخليفة [46] وأوقفت هذه المدرسة على الفقهاء الشافعية بجوار تربتها عند مقبرة الشيخ معروف الكرخي ببغداد. وقد درس بهذه المدرسة كبار العلماء.

3- خاتون بنت نور الدين أرسلان بن أتابك (ت:640هــ)[47] أنشأت المدرسة الأتابكية ودار الحديث الأشرفية التي درس بها كبار العلماء كالذهبي والسبكي وابن الصلاح...

43-ذيل طبقات الحنابلة (1 / 81) الدارس في تاريخ المدارس (1 / 423) ابن كثير في البداية والنهاية(13/ 44)

44-الدارس في تاريخ المدارس الدارس 1/ 114

45- أنظر ترجمتها سير أعلام النبلاء - (20 / 276) -تاريخ دمشق - (41 / 340) تاريخ مختصر الدول - (1 / 124)

46- سير أعلام النبلاء - (21 / 310) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - (2 / 177)

47-الدارس في تاريخ المدارس1ص 315

4-الست العذراء بنت أخي صلاح الدين الأيوبي(ت:580هـــ) أنشأت المدرسة العذراوية وهي على مذهب الشافعية والحنفية بدمشق. ودرس بها كبار العلماء منهم وخرجت عشرات طلبة العلم والفقهاء, و المحدثين.[48]

5-زهرة خاتون بنت السلطان العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب[49] أنشأت سنة 609هـــ المدرسة العادلية الصغرى, ثم ملكتها لابنة عم أبيها الخاتون بابا خاتون ابنة شيريكوه, الدار المذكورة, وقرية من قرى لبنان,والحصة من قرية بحلب,وأماكن أخرى,والحمام المعروف بابن مرسك,فوقفت بابا خاتون ذلك جميعه على زهرة خاتون الملكة, ومن بعدها تكون مدفنا ومدرسة ومواضع للسكنى, وشرطت للمدرسة العادلية مدرسا ومعيدا وإماما ومؤذنا, وبوابا, وقيما وعشرين فقيها, ووقفت الجـــهات المذكورة منها على مـــصالح المدرسة ومصاريفها وبعضها على أقاربها.[50]

6-ست الشام خاتون، أخت السلطان العادل[51] واقفة المدرستين اللتين بظاهر دمشق وبداخلها المدرسة البرّانية والجوانية.وَكَانَتْ سيّدة الملكات فِي عصرها كثيرة البرّ والصدقات، كَانَ بابها ملجأ كلّ قاصد. والمدرسة البرّانية هي من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقهاء وأكثرها أوقافاً.[52]ومن أشهر من درس بها العالم المحدث الكبير ابن الصلاح [53]

7-زوجة الخليفة العباسي المستعصم بنت "المدرسة البشيرية" والمدرسة المعتصمية في بغداد. وتشح المصادر في ذكر تفاصيل عن السيدة المحسنة واسمها وغيرها ولكن نجد تفاصيل عن العلماء الذين درسوا وارتادوا هذه المدرسة للعلم وخاصة من المذهب الحنفي.

8-الجارية بنفشا (ت598هـــ/1201م) جارية الخليفة العباسي المستضيء [54] فهي واقفة المدرسة الشاطئية، وكانت مباني المدرسة في الأصل داراً لنظام الدين أبي نصر المظفر بن

---

48 - أنظر تاريخ ابن خلكان 213/1-خطط الشام 142-النجوم الزاهرة -ابن تغري بردي 45/2 الدارس في تاريخ المدارس -369/1

49-أنظر ترجمتها في أعلام النساء -رضا عمر كحالة 41/2.

50-كتاب خطط الشام -محمد كردي علي -ص30-الدرس في تاريخ المدارس 321/1

51-الوافي بالوفيات - (5 / 34) سير أعلام النبلاء - (21 / 203)

52-الدارس في تاريخ المدارس - (1 / 111)

53 أنظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان - (2 / 180)

54-المستطرف في أخبار الجواري للسيوطي -السيوطي ص42- الذيل على الروضتين لأبي شامة ص 451-أعلام النساء 150/1.

جهير وزير المقتفي بأمر الله، وافتتحت المدرسة في سنة570هــ/ 1174م،وحضر افتتاحها قاضي القضاة وفقهاء بغداد وعدد كبير من الناس وفوض التدريس فيها إلى ابن الجوزي (ت 597هــ/1200م) عالم بغداد الشهير وأوقفت عليها وقوفاً داراً. وقد كتب على حائط هذه المدرسة "وقفت هذه المدرسة الميمونة الجهة المعظمة الرحيمة بدار الرواشتي في أيام سيدنا ومولانا الإمام المستضيء، بأمر أمير المؤمنين على أصحاب الإمام أحمد بن حنبل،

وفوضت التدريس بها إلى ناصر السنة أبي الفتح بن الجوزي".

9-مدرسة العالمة ودار الحديث: غربي الصالحية. بنتها الشيخة العالمة أمة اللطيف بنت الشيخ الناصح الحنبلي المتوفاة عام 653هـ،[55] وأوقفتها على الحنابلة، وقد دثرت.

10-الخازندارة المرأة المحسنة التي بنت بعض كليات الأزهر والمسجد الجامع الفخم بمصر, يقول الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- (أجيال كبيرة من علماء الأزهر تخرجوا في كلية أصول الدين مدينون أدبيا وماديا لامرأة محسنة وقفت مالها لله, وأنشأت مؤسسات يتفجر الخير منها منذ عشرات السنين وأنا واحد من الذين نالهم ذلك العطاء الدافق وتلقيت الدروس من أفواه جملة من أكابر علماء الأزهر وقادة الفكر الإسلامي, أتيحت لهم فرصة التعليم في قاعات المبنى الذي أنشأته "الخازندارة" ملحقا بمسجدها الجامع الفخم وأثناء تلقينا الدروس بمبنى الخازندراة, بدأنا نسمع ضجيج بناء عمارة كبيرة فتساءلنا: ما هذا ؟ قالوا: مستشفى الخازندراة الحق أني دعوت من أعماق قلبي للمرأة الصالحة تبني معهدا ومسجدا وملجأ ومستشفى تنشر العلم وتحمي العبادة وتربي اليتامى وتداوي المرضى؟ أي قلب زكي في صدر هذه المرأة التي أقرضت الله قرضا حسنا؛ وادخرت عنده ما ينضر وجهها.) [56]

هذه بعض الأمثلة القليلة على مدارس في دمشق وبغداد وفي فترة محدودة.وقد كان لها دور كبير في الحفاظ على العلم ومواصلة النهضة، وتكمن مكانتها العلمية ودورها العظيم في أن كبار العلماء من مفسرين و محدثين و فقهاء ومؤرخين ... جلسوا إلى التدريس بها، وكان

55-الدارس: 2 /112 القلائد: ابن طولون ص 84، الأطلال: بدران :منادمة ص 248.

56-قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة و الوافدة -الشيخ محمد الغزالي -دار الانتفاضة -دار الشروق - ط1-1992-الجزائر -ص 85-86

يدرس بها مختلف العلوم. لقد أحصى النعيمي في كتابه الدارس في تاريخ المدارس عشرات المدارس العريقة, التي تعتبر في زماننا بمثابة جامعات, أنشأتها نساء فاضلات ووقفتها على العلماء و طلبة العلم رجالا و نساء.

المطلب الثالث : الزوايا والربط ودورها النهضوي

الزاوية في المفهوم اللغوي وأصل الاستعمال" هي ركن البناء، وتطلق على المسجد الصغير والمسجد الكبير يسمى جامعا، وهذا المعنى هو الساري في المشرق،أما في الغرب الإسلامي فتطلق الزاوية على بناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني فهي تحتوي على غرفة للصلاة و ضريح أحد المرابطين وغرفة لتلاوة القرآن ومكتبا ومدرسة لتحفيظ القرآن وغرفا مخصصة لضيوف الزاوية والحجيج والمسافرين والطلبة ويلحق بالزاوية عادة مقبرة. فهي مدرسة دينية ودار ضيافة مجانية كما عبر عنها أحد الغربيين." [57]

والرِّباطُ هو[58] من "المُرابَطةُ: مُلازمةُ ثَغْرِ العَدُوِّ وأَصله أَن يَرْبِطَ كلٌّ واحد من الفَرِيقين خيلَه ثم صار لزومُ الثَّغْرِ رِباطاً ،والرِّباطُ المُواظَبةُ.وقول اللهﷻ "وصابِرُوا ورابِطُوا" قيل: معناه حافِظُوا. وقيل: واظِبُوا على مَواقِيت الصلاة الرِّباطُ في الأَصل الإِقامةُ على جِهادِ العدوِّ بالحرب وارتِباطُ الخيل وإِعْدادُها فشبَّه ما ذكر من الأَفعال الصالحة به فيكون الرِّباطُ مصدرَ رابطْتُ أَي لازمت .

وهناك ارتباط بين مفهوم الزوايا والربط والخانقاه، يقول د/سعد الله في مفهوم الربط والزوايا "أن أساس الزوايا هو الرباط الذي قام على مبدأ الجهاد ونصرة الدين ورد الأعداء." [59]

عرفت الربط في التاريخ الإسلامي بأنها هي أماكن ومواضع العبادة، للحديث:"أَلا أَدُلُّكم على ما يَمْحو اللّهُ به الخَطايا ويَرْفَعُ به الدرجاتِ؟قالوا بلى يا رسول اللّه قال:إِسْباغُ الوُضوءِ على المَكارِه وكثرةُ الخُطى إِلى المساجِدِ وانْتِظارُ الصلاةِ بعد الصلاة فذلِكم الرِّباطُ[60]

وأصبحت مهمة الزوايا والربط فيما بعد مهمة تعليمية وتعبدية كحفظ القرآن ودراسة اللغة

57-زوايا العلم والقرآن بالجزائر –محمد نسيب –دار الفكر –دمشق –مطبعة النخلة الجزائر –ص27–28وبعدها.

58- لسان العرب - (7 / 302)– القاموس المحيط - (2 / 215)

59- تاريخ الجزائر الثقافي 5 /110

60-الموطأ– كتاب النداء للصلاة –باب انتظار الصلاة 6/2–رقم 348–وصحيح مسلم –كتاب الطهارة –باب فضل إسباغ الوضوء–2/57–رقم 369

والتفسير والحديث والعقيدة والفقه،وتتخذ للخلوة و التصوف. وتكون ملاصقة للجامع ولها نظامها الداخلي وأوقافها وسكنى الطلاب .

وقد أسهمت النساء بشكل كبير في ذلك فمنهن من تبني مسجدا ورباطا و زاوية ومدارس، ومنهن من تقتصر على مسجد أو زاوية أو رباط. ومن **الربط** التي اشتهرت في التاريخ الإسلامي، وارتبطت بالنساء إنشاء وعناية :

1–باي خاتون ابنة السلطان الظاهر بيبرس التي(أنشأت رباطا يسمى برباط البغدادية سنة 684هـــ, وخصصته للنساء وفيه شيخة تعظ النساء وتفقههن, إضافة إلى كونه مأوى للنساء المطلقات والأرامل) [61]

2–عائشة بنت علي بن عبد الله بن عطية الرفاعي،[62] وتعرف بالظاهرية، أنشأت رباطًا بأسفل مكة عُرف بها، ووقفت عليه داراً بباب الصفا مطلة على المسجد وكانت قائمة بالمشيخة على وجهها بينهن من تسبيح وأوراد وذكر واجتماعية لذلك في كل سبت وإطعام بحيث لم تخلف مثلها في مجموعه، وماتت بمكة في جمادى الأولى سنة 837هـــ –1433م دفنت بفسقية من رباطها أعدتها لنفسها.

3–عائشة بنت المستنجد بالله بن المقتفي(تـــ640هـــ)[63] ينسب إليها رباط ببغداد.قال عنها الصفدي:"وهي السيدة المكرمة المدعوة بالفيروزجية؛مسنة معمرة ذات دين وصلاح، أدركت خلافة أبيها وأخيها وابن أخيها الناصر وابن ابن أخيها الظاهر ابن الناصر وابنه المستنصر وحفيده المستعصم، وماتت في ذي الحجة سنة أربعين وستمائة، وشيعها كافة الدولة وتكلم الوعاظ في عزائها، وبنت ببغداد رباطاً."

4–زاوية جامع السيدة [64] بالعاصمة وقد تعرضت للهدم مع الجامع من طرف الاستعمار الفرنسي .

5–زمرد خاتون التركي أم أمير المؤمنين الناصر لدين الله.عاشت في خلافة ابنها أربعاً وعشرين سنة. وحجت، ووقفت المدارس والربط والجوامع. [65] ولها وقوفٌ كثيرة في

61-الخطط –للمقريزي – 427/2-428

62-الضوء اللامع – (5 / 432)

63-أعلام النساء –كحالة 190/3–شذارت الذهب 212/3–الوافي بالوفيات –الصفدي (ج 5 / ص 329)

64-تاريخ الجزائر الثقافي 1830م–1954م–أد/أبو القاسم سعد الله –– 5 /91–البنايات الدينية في الجزائر –ديفوكس ص152 وهو الذي ذكر أن مسجد السيدة كان يقع في ساحة الحكومة أنذاك وهي ساحة الشهداء حاليا بالعاصمة .

القُرُبات.وقد أنفقت في حجتها نحواً من ثلاثمائة ألف دينار.

6-رباط صفية القلعية: بالقرب من دار العقيقي التي أصبحت في العهد المملوكي المدرسة الظاهرية. (66) ذكره البرزالي في حوادث سنة 633ه. وقد دثر

7-السيدة خاصكي حرم سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني التي أنشأت (67) رباطاً بالحرمين الشريفين، يحتوي علي 48 حجرة وسبيل ماء. واشترطت أن يسكن الرباط العلماء العابدين والصلحاء الزاهدين ويقع هذا الرباط في مكان يقال له القشاشية.

المطلب الرابع : وقف المصاحف و الكتب

ومن المعروف أنه مع إنشاء ووقف المدارس والمساجد يذكر دائماً إنشاء ووقف المكتبات. وازدهرت المكتبات الخاصة والعامة منذ العصور الإسلامية الأولى،وأسهمت في حركة النهضة ونشر العلم رغم النكبات والهزات والتاريخ لا ينسى حملة التتار وحرق الكتب.هذه المكتبات الزاهرة التي كان يعمرها المسلمون والمسلمات في هذا الزمن المتقدم كانت أوربا تعيش ظلام الجهل ولا وجود للمكتبات والكتب إلا نادرا.يذكر المستشرق(ادم فتز)في كتابة (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) أن أوروبا كلها في ذلك العصر لم يكن بها أكثر من عدد محدود من المكتبات التابعة للأديرة فكان في مكتبة دير البندكتين سنة 1032 م مائة كتاب فقط وفى خزانة مدينة بامبرج سنة 1130م ستة وتسعون كتابا.ولا يعرف التاريخ امة اهتمت باقتناء الكتب والاعتزاز بها كما فعل المسلمون فى عصور نهضتهم وازدهارهم فقد كان فى كل بيت مكتبة وكانت الأسر الثرية تتباهى بما لديها من مخطوطات نادرة وثمينة لا بالقصور والضياع والأثاث."

كانت المرأة المسلمة سباقة إلي وقف المصاحف والكتب النفيسة والنافعة على طلاب العلم، وقد توسعت في هذا المجال الباحثة السعودية "د/ دلال بنت مخلد الحربي" من خلال كتابها:" إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد" حيث ذكرت عددا من الواقفات وعناوين الكتب التي وقفن والوثائق الوقفية من خلال المخطوطات والشروط الواقفة على وقفها وغيرها...

65- تاريخ الإسلام للذهبي - (9 / 286)

66- الأعلاق الخطيرة- ابن شداد (قسم دمشق) ص 196، الدارس:2 /194-مختصر الدارس :العامري ص 162.

67-: الحريم في القصر العثماني ، ماجدة مخلوف- ط 1 ، دار الآفاق ، القاهرة ، 1418 هـ / 1998 م، ص 50.

بحث مكانة مكة المكرمة لدى السلاطين العثمانيين وأوقاف نسائهم فيها -بقلم: الدّكتورة أميرة بنت علي مداح- ص13

وقبل ذكر النماذج النسائية لوقف كتب ،تجدر الإشارة إلى أن المصحف الشريف لقي عناية كبيرة في أوقاف المسلمين من طرف الحكام والرعية عبر قرون طويلة ومن النماذج الرائعة أن يتعدى الأمر في الوقف إلى الجواري،فهذه الجارية القيروانية **فضل** مولاة أبي أيوب التي خطت المصحف بجامع القيـروان ببراعة باهرة ووقـفته على القراء، وهذا نص حجة الوقف"بسم الله الرحمن الرحيم،هذا ما حبست فضل مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد – رحمها الله–طلباً لثواب الله والدار الآخرة، رحم الله من قرأ فيها "أي الختمة" ودعا لصاحبتها" وكتبته فضل بخطها في المحرم سنة 295هــ/ 907م.

ومن النسوة اللواتي كن نماذج رائعة لفعل الخير ونشر العلم عن طريق وقف الكتب:

1–السيدة فاطمة الحاضنة من القرن الخامس الهجري لمجموعة من المؤلفات النفيسة على جامع عقبة بن نافع بالقيروان، التي ما يزال بعضها موجوداً حتى الآن في مكتبة الجامع . قال عمر رضا كحالة عنها [(68)]:هي من ربات البر والإحسان والعقل والرأي والفكر والتدبير وسعة الإدراك وعلو الهمة، كانت تدين بالنصرانية فأسرها بعض غزاة البحر وسيقت إلى المهدية ثم إلى القيروان على عهد المنصور الصنهاجي فاقتناها وأدخلها في حرمه..."

2–زوجة الخليفة المستعصم أم ولده أبى نصر التي بنت المدرسة البشيرية في بغداد وجعلتها للمذاهب الأربعة ووقفت عليها خزانة كتب: تفرقت بدداً لا يعرف منها غير المجلد الخامس من تفسير القرآن المسمى العيون والنكت للماوردي وهو ضمن خزانة آل باش في البصرة، وعلى ظهر أول صحيفة منه وقفية جاء في أولها:" هذا ما وقـفه وتصدق به الجهة الشريفة المكرمة المقدسة الزكية المعظمة السيدة الكبيرة الرضية الأمينة جــهة سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام أبي أحمد عبد الله المستعصم بالله أمير المؤمنين...وأمرت أن تكون بالمدرسة الميمونة التي أمرت بإنشائها..."[(69)]

3– فاطمة بنت حمد الفضيلي الحنبلي الزبيرية المعروفة بالشيخة الفضيلية ولدت في الزبير قبل عام 1200هــ/ 1786م ، ونشأت بها وقرأت على شيوخها ، وكانت لها عناية بجمع

68- أعلام النساء –كحالة– 136/4

69- الوقف وبنية المكتبة العربية استنباط للموروث الثقافي. يحيى محمود بن جنيد (الساعاتي). الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، 1408هــ /1988م ، ص84.

الكتب في شتى الفنون، وأقامت في مكة المكرمة، وحظيت بمكانة كبيرة بين علمائها، .وقفت جميع كتبها على طلبة العلم من الحنابلة وجعلت الناظر أحد معارفها، وظلت الكتب لديه إلى أن قرر الانتقال إلى المدينــة فتورع عن إخراجها من مكة، فتركها عند خادمتها شائعة بنت النجار وأولادها ثم أرادت شــائعة الخروج أيضا إلى المدينة، فأشير عليها بأن تبقي الكتب الموقوفة في مكة إلا أن أولادها قالوا إن الواقفة لم تشترط ذلك فأخذوها معهم ، وبعد وفاتهم تفرقت تلك الكتب،وكانت فاطمة الزبيرية قد توفيت في مكة المكرمة سنة1247هــ/1831م إنها تعد أنموذجا من نماذج المرأة المعطاء التي أسهمت بإشاعة العلم ونشره بالتدريس ومن خلال إتاحة الكتب لطلاب العلم. [(70)]

4- أم علي بن عشري عام 1247هــ/1831م وقفية كتاب: " القواعد وتحرير الفوائد" لابن رجب الحنبلي الذي وقفته ونص الوقفية هو"بسم الله الرحمن الرحيم قد وقفت وحبست المرأة الصالحة التقية المكرمة أم الشيــخ علي بن عشري هذا الكتاب على علماء الحنابلة وجعلت الناظر على ذلك عبد الله بن حمد إلا إن عاش الشيخ علي بن صالح فهو أحق به حرر سنة 1247هــ في جمادى الأولى ، كتبه وشهد به عبد الله بن حمد"[(71)]

والنسخة الموقوفة من هذا الكتاب يعود تاريخ نسخها إلى عام 861هــ/ 1457م ولا شك أن توفيرها لطلبة العلم في ذلك الزمن كان عملاً جليلاً لصعوبة الحصول على مثل هذا النوع من الكتب في منطقة نجد، وقد أشار ابن حميد إلى أم العشري ضمن ترجمته لعلي بن محمد الراشد المتوفى ســنة1301هــ/ 1884م فقال" لما توفي الشيخ علي بن عبد الله ابن عيسى بن عشري أوقفت والدته كتبه وجعلت الشيخ علياً قيماً عليها ونستنتج من النص السابق أن أم العشري وقفت كتباً أخرى غير كتاب الفوائد. [(72)]

5- سارة بنت الشيخ علي بن محــمد بن عبد الوهاب، وهي من نــساء القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي وسليلة بيت علم وفضل وقفت نسخة مزخرفة خزائنية نفيسة

70- المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة عبد الله مرداد أبو الخير (ت 1343هــ/ 1924م) / ، اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي واحمد علي ، . – ط 2 . – جده : عالم المعرفة ، 1406هــ – 1986م ، ص 387 – 388. "إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد" د/ دلال بنت مخلد الحربي ص

71- إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد" د/ دلال بنت مخلد الحربي ص – نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية وهي من مجموعة مكتبة الرياض السعودية.الشكل(3)

72- نفس المراجع

من الجزء الثالث من شرح صحيح مسلم لأبي زكريا يحي بن شرف النووي ولعلها وقفت غيره، وقد جاء نص الوقفية على هذا الكتاب كما يأتي: "وقفت هذا المجلد سارة بنت الشيخ علي وجعلت [...] فيه تحت يد عبد الله [...] [73]

6- نورة بنت الإمام فيصل بن تركي وقفت في عام 1283هـ / 1866م نسخة من كتاب "إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان: لابن قيم الجــوزية ، ونص وقفيتها كما يأتي:" بسم الله الرحمن الرحيم، أوقفت وسبلت وحبست نورة بنت الإمام فيصل بن تركي رحمه الله وعفى عنه هذا الكتاب المسمى بإغاثة اللهفان لله – تعالى– وقفاً موئلاً لا يباع ولا يوهب ولا يرهن وجعلت الولاية فيه لموسى بن محــمد ابن مرشد وبنيه من بعده لا ينزع منهم ولا يتعرض لهم فيه ، شهد على ذلك حسين بن تمــ،يم وعثمان بن إبراهي،م وكتبه شاهداً به عبد الله بن حسين المخضوب مصلياً مسلماً على محمد وعلى آله وصحبه وسلم سنة 1283هــ. [74]

هذه أمثلة على ســبيل المثال كنمـــاذج مشرقة ومشرفة للنساء الخـــالدات وإسهامهن في بناء الحضارة عبر الوقف ،وأي وقف؟ أنه الكتاب رمز النهضة العلمية والتقدم .

المطــلب الخامــس : وقــف المــال عــلى العـلم

وهذا كذلك كثير جدا فقد وقفت النساء الغنيات المحسنات أموالهن التي تنوعت بني نقد وغلال الزراعة وأفران الخبز ومـــنتوج الأرض من كل نوع والحوانيت والنقود والمزارع والبيوت والخانـــقاهات غيرها على المساجد والأئـــمة و القراء و العمال بالمدرسة وكأجرة وكخدمات وأدوات ومفروشات وأكل و شرب وغيرهاومن الواقفات الشهيرات :

1-جميلة بنت ناصر الدولة الحسن بن عبد الله الحمداني[75]. كانت من ألمع نساء عصرها في القرن الرابع الهجري على صعيد السياسة والإدارة، وقد لعبت دوراً مهماً في حياة أبيها وأخيها أبو تغلب (ت369هــ/ 979م). يذكر المؤرخون أنها أوقفت على جامع النبي يونس

2-الملكة أروى بنت أحمد الصليحي [76] وفي اليمن وبالتحديد في أواخر الدولة الصليحية 439هــ-532هــ /1047-1137م . التي تصفها المصادر بأنها كانت على قدر كبير من

73- نفس المراجع نسخه محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية.الشكل (9)

74- إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد –ص – الكتب نسخه محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية.الشكل (9)

75- أنظر التفصيل في سير أعلام النبلاء 170/15–الأعلام 139/2

76- أنظر التفصيل في الخطط للمقريزي 213/1–خريدة القصر و جريدة العصر–ابن القم 106/3 –الأعلام 303/2–6

رجاحة العقل، وبعد النظر وقوة الإدراك حتى أنها كانت تلقب بـــ "بلقيس الصغرى". وقد شاركت زوجها المكرم بن علي في الحكم ثم زوجها اللاحق سبأ بن أحمد حيث استقلت بعدها في حكم هذه الدولة إلى أن توفيت عن 88 عاماً سنة 532؟/ 1137م.

3- زينب زوجة الجانبلاد منصور من حلب لها أوقاف عقارية من مسجد ومدرسة ولها على ذلك أوقاف مالية وقد حررت وثيقة وقفية سنة 1003هـــ تتضمن طريقة تقسيم وقف أموالها، ومنها عدة فدن من قرية أرحايوس ونصف مزرعة، وثلاثة قراريط من طاحون بحورنا وفدنا ونصف من مزرعة الورد وخمسة قراريط من مزرعة بارونس في القصير من أعمال أنطاكية وثمانية عشرة قيراطا من حمام الكلاسة وجميع الحوانيت الملاصقة له في السويقة وجميع فرن سيدي منصور وغيرها من قطع الارض المزروعة من الزيتون و التين في قرى كثيرة وشرطت أن تصرف غلة هذا الوقف على تعمير جامعها ومصالح المكتب داخله وأجرة الخطيب و الإمام والمؤذن والفراش وثمانية حفاظ . [77]

4- زينب بنت محمد غلي باشا ولدت بالقاهرة سنة 1244هــ.[78] وأوقفت على الأزهر أوقافا عظيمة بلغ ريعها عشرين ألف جنيها . ورتبت رواتب لمدرسي الفقه على المذاهب الأربعة، وأوقفت أوقافا على 14مسجدا منها المسجد الحسيني في مصر ومسجد السيدة نفيسة والسيدة زينب ...

5-ومن النساء اللواتي وقفن المال على العلم فاطمة بنت اسمايل بن محمد بن علي خديوي مصر[79] كانت من ربات البر والاحسان، هكذا يصـــفها المؤرخون، وقـــفت على الجامعة المصرية في سنة 1909م ، 674فدانا في أحدى المحافظات مصر ،ووهبت للجامعة قطعة أرض مساحتها 6فدان ،وأعطتها مجوهرات تقدر ب18ألف جنيه كي يقام بتلك الأرض مبنى للجامعة ،وأذا لم تكف أتمت ذلك ...

6- عائشة بنت صفر توصف كذلك بربات البر والاحسان [80]،أوقفت جمع الدار الواقعة في محلة الميدان على قراء القرآن الكريم ببغداد بموجب وقفية مؤرخة في غرة رجب 1306هـــ

77- أنظر التفصيل في تاريخ حلب –الغزي ص 236–أعلام النساء 59/2

78-أنظر التفصيل في أعلام النساء –كحالة 112/2–مجلة فتاة الشرق السنة 22–الدر المنثور لربات الخدور –زينب فواز – ص 231–الأزهر –محب الدين الخطيب

79- أنظر التفصيل أعلام النساء –كحالة 35/4– تاريخ آداب اللغة العربية –جورجي زيدان

80- أنظر التفصيل أعلام النساء –كحالة 137/3– البغداديون و مجالسهم و أخبارهم –إبراهيم الدروبي

هذه كذلك بعض النماذج البارزة لإسهام المرأة في وقف مالها على العلم وطلابه و مدارسه ،والدافع هو البر والإحسان والأجر أكيد، وكذلك تحقيق الجانب التمويلي للعلم حتى تكون التعليم للجميع الفقراء والأغنياء، وحتى لا تتحمل الدولة لوحدها أعباء ومصاريف التعليم والتعلم. وإضافة إلى هذه المبادرات الفعلية و الفعالة ،هناك نساء سألن عن الفتوى في هذا المجال وهذا يدل على الاهتمام والإسهام، وقد ذكر الشيخ ابن تيمية نص الفتوى وإرادة المرأة في تخصيص شيء من مالها على المقرئين"وَسُئِلَ عَنْ امْرَأَةٍ أَوْقَفَتْ وَقْفًا عَلَى تُرْبَتِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا وَأَرْصَدَتْ لِلْمُقْرِئِينَ شَيْئًا مَعْلُومًا وَمَا يَفْضُلُ عَنْ ذَلِكَ لِلْفُقَرَاءِ أَوْ وُجُوهِ الْبِرِّ وَإِنَّ لَهَا قَرَابَةً : خَالَهَا قَدْ افْتَقَرَ وَاحْتَاجَ ؛ وَانْقَطَعَ عَنْ الْخَدَمِ وَأَنَّ النَّاظِرَ لَمْ يَصْرِفْ لَهُ مَا يَقُومُ بِأَوْدِهِ . فَهَلْ يَجِبُ إلْزَامُ النَّاظِرِ بِمَا يَقُومُ بِأَوْدِ الْقَرَابَةِ وَدَفْعِ حَاجَتِهِ دُونَ غَيْرِهِ ؟ ." [81]

7–السيدة خاصكي خُرم سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني التي أنشأت مطعمين خيريين في مكة المكرمة والمدينة المنورة،[82] تقدم الطعام يوميا لفقراء المسلمين، وقد أوقفت علي هذين المطعمين الخيريين أوقافا كثيرة بعضها مما أهداه إليها السلطان سليمان القانوني من أراضي قري مصر، والبعض الآخر عبارة عن عقارات تم شراؤها من أصحابها في مكة المكرمة ويقع هذا المطعم الخيري بجانب مسجد الراية بالقرب من المدعى، وبجوار المطعم الخيري مطبخ ومخبز وبيت للرحى ، بئر ماء وثلاث مخازن بالقرب من سوق الليل بمكة . وكذلك أنشأت رباطاً يحتوي علي 48 حجرة وسبيل ماء. واشترطت أن يسكن الرباط العلماء العابدين والصلحاء الزاهدين ويقع هذا الرباط في مكان يقال له القشاشية .

8- الأميرة صفية 1605/1014م زوجة السلطان مراد الثالث التي وقفت أموالا[83] بقصد ختم القرآن الكريم في مكة والمدينة في مختلف الأوقات، ويحمل أول دفتر للصرّة خاص بها تاريخ 25 جمادى الآخرة 1047هـ/24 يناير 1664 م، وتتضمن إحساناتها مبلغ 14 ذهبا لشيخ الحرم، و308 ذهب لستين شـخص من أهل القرآن لختم القران في صـلاتي الصبح والظهر، و154 ذهبا لواحد وثلاثين شخص من أهل القرآن لختم القرآن في صلاة العصر...

81-مجموع فتاوى ابن تيمية – (7 / 490)

82-الحريم في القصر العثماني ، ماجدة مخلوف- ص 50

83- Mustafa Guler : Osmanli s 127 . عن بحث بحث مكانة مكة المكرمة لدى السلاطين العثمانيين وأوقاف نسائهم فيها –بقلم: الدّكتورة أميرة بنت علي مداح– ص20

الخـــاتــــمـــة

إن التجربة النــسائية في تاريخ الوقف تستــحق الدراسة وتسليط الضـــوء عليها، لثرائها وأهميتها وفعاليتها في تاريخ الحضارة والنهضـــة في جمـــيع الميادين وخاصـــة العلمية والاجتماعية وقبلها الأوقاف الدينية. ورغم هذا الثراء فإن الكثير من النســـاء فضلن عدم الكشف عن أنفسهن وهويتهن تحريا للإخلاص، ولـــذلك برزت الآثار وأدت الدور العلمي المنوط بها، وقلّت التراجم والسير، ومع ذلك استنتـــجت أن وجود الواحـــدة يعني وجود العشرات .

من خلال الانجازات العلمية يظهر جليا أن الوقف هو أكبر رافد ومصدر تمويلي للتعليم، الذي هو أساس النهضة، ولذلك انصبت الانجازات على الكبرى على المساجد والمدارس والزوايا والربط والكتب ... عند الرجال والنساء، وكان الحيز أكبر لأعمال الوقف .

كان العمق العقدي والوعي بالرسالة وبالشهود الحضاري أكبر دافع لكل هذه الأعمال النسوية العظيمة، والتجارب الرائدة التي هي قدوة للجميع .

الكثيرات من النساء في هذا المجال جمعن في الوقف بين العلم والورع والفقه والمال. كما جمعن في أحيان أخرى المنصب العالي والمكانة الاجتماعية المرموقة– ملكات، أميرات، زوجات سلاطين،– وبين البر والإحسان بمختلف أوجهه.

كانت هذه الأعمال الوقفية من إنجاز نساء مسلمات عظيمات من مختلف بلاد الإسلام من الهند إلى المغرب وعبر مختلف العصور ووكبن النهضة فريق بأموالهن وفريق بعلمهن فكن الحافظات والمقرئات، والمتصوفات والقانتات،والمحدثات والمفسرات،والناسخات والوراقات والفقيهات والمشاركات، والعالمات والطبيبات، والأديبات والشاعرات والرحالات والمتنقلات، والسياسيات، والدبلوماسيات والقائدات والزعيمات...

المـــصـــادر و المـــراجـــع

أساس البلاغة، الزمخشري، دار الفكر، لبنان، ط/1393ه– 1979 م

الإسعاف في أحكام الأوقاف –إبراهيم بن موسى الطرابلسي الحنفي –دار الرائد العربي –بيروت – 1401هــ–1981م.

الأعلام : قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرفين – خير الدين الزركلي دار العلم للملايين– ط 12 – 1997 م .

أعلام النساء –رضا عمر كحالة – نشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الخامسة 1404 هـ .
البداية والنهاية – ابن كثير – ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح قامت بها هيئة بإشراف الناشر – مكتبة المعارف – بيروت – ط 2 – 1974 .
أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك –الدر دير، مكتبة رحاب ، الجزائر،1987.
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس"، علي ابن أبي زرع الفاسي راجعه: عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1999.
تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر – ابن خلدون – منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر – بيروت .
تاريخ الدولة العثمانية ، يلماز اوزتونا – ترجمة : عدنان محمود سلمان ، مؤسسة فيصل للتمويل ، استانبول 1990 م .
تاريخ حلب – المسمى بنهر الذهب في تاريخ حلب –الغزي –طبعة حلب 1952م
تاريخ دمشق – الحافظ ابن عساكر –دار الفكر المعاصر– دمشق –ط1–2008م.
تاريخ مختصر الدول – ابن العبري– تحقيق : زهير الشاويش **الطبعة** الأولى ، 1393 .
التفريع –ابن الجلاب، دراسة و تحقيق د/ حسين بن سالم الدهماني، دار الغرب، بيروت، ط1 / 1408هـ 1987م.
جامع البيان عن تأويل آي القرآن – الطبري –دار الفكر –بيروت –1408هـ–1984م .
الجامع لأحكام القرآن –الإمام القرطبي–دار الكتاب العربي –بيروت .
جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي"، ندوة تكريمية لعبد الوهاب التازي سعود، سلسلة أبحاث وأعلام رقم 5، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996.
جمود العقل المسلم وتحديات العصر – تأليف أسامة عكنان –" عن دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع .
الحريم في القصر العثماني ، ماجدة مخلوف– ط 1 ، دار الآفاق ، القاهرة ، 1418 هـ / 1998 م.
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري– المستشرق(ادم فتز) .
خطط الشام –محمد كردي علي – طبع بمطبعة الترقي بدمشق –1345هـ–1926م.
الخطط – المقريزي – دار صادر– بيروت– دار القلم – ط 10 – 1972 م.
الدارس في تاريخ المدارس – النعيمي – تحقيق ونشر جعفر الجني – مطبوعات المجمع العلمي العربي – دمشق سوريا – 1948 م.
الدر المنثور لربات الخدور –زينب فواز – شبكة المشكاة الإسلامية .
الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ويليه الذيل على الروضتين تراجم رجال القرنين السادس والسابع– لأبي شامة – تحقيق :إبراهيم شمس الدين– دار الكتب العلمية–بيروت

1422 هــ-2002 م
رحلة ابن جبير – ابن جبير – الشركة العالمية للكتاب.
زوايا العلم والقرآن بالجزائر –محمد نسيب –دار الفكر –دمشق –مطبعة النخلة الجزائر .
سنن الترمذي، الجامع للإمام الترمذي –دار الكتاب العربي، لبنان.
سنن النسائي- صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاوش، مكتب التربية لدول الخليج، الرياض، ط1408/01هــ – 1988م.
سير أعلام النبلاء – الذهبي – تحقيق شعيب الأرناؤوط – حسين الأسد – مؤسسة الرسالة – ط 1 – 1981 م .
شجرة النور الزكية، محمد بن محمد مخلوف ، دار الفكر، (د.ط). .
شروط النهضة – مالك بن نبي- ترجمة عبد الصبور شاهين – عمر المسقاوي – دار الفكر – دمشق- 1986م
شمس العرب تشرق على الغرب – سغريد هونكه – ترجمة فاروق بيضون – كمال دسوقي – دار الآفاق، دار الجيل –ط2 – 1993م .
صحيح، الإمام مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1- 1992 م.
الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع – السخاوي – عن نسخة دار الكتب المصرية مع مقابلة نسخة الخزانة الظاهرية بدمشق – مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القومي – القاهرة – 1354 هــ..
قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة و الوافدة –الشيخ محمد الغزالي –دار الانتفاضة –دار الشروق – ط1، 1992–الجزائر.
اللباب شرح الكتاب- الشيخ عبد الغني الغنيمي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة محمد صبيح و أولاده بمصر، ط4 / 1381 هــ- 1961 م.
لسان العرب، ابن منظور- دار إحياء التراث العربي، بيروت.
مجموع الفتاوى – ابن تيمية– جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم- ط1- مطابع الرياض- 1381هــ .
الــمجموع شرح الــمهذب – النووي – دار الفطر – بــيروت.
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان – اليافعي – مكتبة مصطفى الالكترونية.
المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي- د.عبد الهادي التازي الناشر: نشر الفنك ــ الدار البيضاء .
المستطرف في أخبار الجواري–السيوطي – مخطوط.
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – الفيومي – مطابع أوفست كونز وغرافير – نشر المكتبة العلمية – بيروت .
المغني –ابن قدامة- دار الكتاب العربي، بيروت، ط / 1403 هــ ، 1983 م.

المغني المحتاج–الشيخ محمد الشربيني الخطيب –مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده –مصر –ط1377هـ–1958م .

المقدمات الممهدات، ابن رشد الجد، تحقيق أسعد أحمد أعراب، بعناية الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، دار الغرب الإسلامي، لبنان، و دار إحياء التراث الإسلامي، دولة قطر، ط1/ 1408هـ–
المقدمة – ابن خلدون – دار الكتاب التونسية للنشر – المؤسسة الوطنية للكتاب – 1984 م .
المقدمة– ابن خلدون– تحقيق المستشرق للفرنسي . أ.م . كاتومير– عن مطبعة باريس 1958 – لبنان 1992 م .
الموطأ – الإمام مالك – رواية يحي بن يحي الليثي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط 1 – 1984 م .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – يوسف ابن تغري بردي – نسخة مصورة عن دار الكتب – القاهرة وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
الوافي بالوفيات – الصفدي – تحقيق هلمون ريتروس – ديدرينغ – دار صادر – بيروت– 1962م.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ابن خلكان – تحقيق إحسان عباس – دار صادر – بيروت – 1397 هـ – 1977 م .

بحوث علمية

بحث مكانة مكة المكرمة لدى السلاطين العثمانيين وأوقاف نسائهم فيها –بقلم: الدّكتورة أميرة بنت علي مداح
بحث البعد الحضاري والاجتماعي لإسهام المرأة في الوقف: المنشور بمجلة المؤتمر الثالث للأوقاف: الأوقاف اقتصاد و حضارة –1431هـ –2010م بالجامعة الإسلامية –المدينة المنورة .
مجلة الأزهر – مقال محب الدين الخطيب